«الوطني»

عرض هذا العمل الساتيري، أولاً، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢. وكغيره من مسرحيات ليفين أثار ضجة كبيرة؛ وبعدها، أُنزل، ومنع العرض.

ان بطل مسرحية «الوطني» هو النمط الاول للبرجوازي الصغير الاسرائيلي «القوموي». ساط ليفين هذه الشخصية بلا رحمة، أو شفقة. وهي ـ الشخصية ـ ظهرت عارية بكل تفاهاتها وسخافاتها وانتهازيتها وحلمها الدائم للوصول الى بلاد العم سام، وانتزاع مكان هناك، والاغتناء، حتى لو كان ثمن ذلك تسديد بصقة في وجه الام. «الوطني» هو الذي يهرّب جواهر الى الخارج وعلى استعداد لأن يلعق جزمة الاميركي؛ لكنه، في المقابل، يحاول ان يرغم الفلسطيني على ما يفعله الاميركي به. المعادل لقمع الاسرائيلي هو قمع الفلسطيني. بهذه الطريقة يفرّغ «الوطني» نوازعه القوموية المريضة. والقوموية، هنا، هي التي تعيش على شفا الفاشية، والتي من السهل ان تسقط في شباكها. ومع ذلك، يعيش «الوطني» حلمه الابدي والدائم للوصول الى اميركا، بعد ان يقوم بكل واجباته كانتهازي مريض ومعقّد.

ان الارضية الخصبة في البلاد، والصالحة لانتاج، وافراز، القوموين هي أرضية مناسبة لمثل «الوطني» القوموي. بمعنى آخر، ما دفع القوموي الى الظهور هي الارضية المهيّأة لولادته. بهذا الصدد، كتب الناقد يارون بيكر عن مسرحية «الوطني» ما يلي: «انه لمن الخطأ البصري ان يرى بـ ' الوطني ' نتاج التبهُّم والفاشية، والقمع والاحتلال. انه، ذاته، في عدم الراحة الدائمة والمستديمة وبالخوف الذي يؤرجحه، يستعمل كضحية لتلك السيرورات. لكنه من المؤكد انه النموذج الذي يمثّل الفرد داخل المجموع السائر وراء تيار فاشي، والذي قد يشكل قاعدة جماعية لفاشية في اسرائيل. ليفين لم يقسُ كثيراً على بطله البرجوازي الصغير، كما فعل في مسرحياته الاخرى. ولكن الارضية الاجتماعية ـ السياسية تحظى باهتمام سريع»[٦].

ان الحالة السياسية (الصهيونية) التي ولّدت مفاهيم شاذة في البلاد ادّت بليفين الى ان يتبنّى مواقف حادة جداً تجاه الوضع العام: «يهزأ حانوخ ليفين من جنون العظمة الاسرائيلية، الذي هو وجه العملة الثاني لتملق الاسياد في واشنطن». عند ليفين، جيش الدفاع الاسرائيلي «يقيم النظام في تشيلي، يحرق المعامل الذرية في كازاخستان، ويهبط في البانيا، لئلا يضطر اولاد نتانيا الى النوم في الملاجىء. ومهمة وزير الخارجية الاسرائيلية هي المداهنة والرياء للنظام الاميركي»[٧].

السؤال الذي يتردد في اثناء مشاهدة المسرحية، هو: ما هي هذه الدولة (اسرائيل)؟ هل هي خادمة خنوعة للعم سام؟ وتركّز موضوع الصراع الاسرائيلي ـ العربي باحتلال المناطق المحتلة وقمع الفلسطينيين واذلالهم. العربي في «الوطني» ذليل الى درجة انه يظهر بمظهر الكاريكاتور المهان. فالسلطة والقوة لا ترحمانه، بل تعملان على اذلاله كل يوم. بهذا الصدد، كتب الناقد بيكر ما يلي: «غضبت الرقابة جداً من هذا العرض. وصاغت الشاعرة داليا رابيكوفيتش دوافع هذا الغضب على نحو دقيق بقولها: ' هم ـ الاسرائيليون ـ مستعدون لأن يعيشوا على الرغم من قتل ولد عربي في الضفة، لكنهم لا يستطيعون رؤية ذلك على المسرح ' »[٨].

القيمة الاساسية، الحرب وافرازاتها، تكررت في أعمال ليفين المذكورة. لكن الرؤية، هنا، تكتمل وتزداد شمولية؛ اذ ان الامر لم يعد مقصوراً على احتلال فلسطين، بل تبعه اجتياح لبنان. لذا، نرى ان العمل المسرحي في «الوطني» يحتد ويأخذ طابعاً عنيفاً جداً، الى درجة ان وسائل الاعلام